الذات والموضوع في المعرفة والفهم

Susan Archer, Mitchell College

ترجمة السيد البدوى فتحي

ما هي المعرفة وكيف لنا أن نعرف الأشياء؟ يقدم فلاسفة التنوير **إيمانويل كانط وجورج فيلهلم فريدريش هيجل** والفيلسوف الحديث **ميخائيل باختين** نظرة ثاقبة لتشكيل المعرفة داخل الذات وكضرب من التفاعل مع الآخرين. سوف أبدأ هذه الورقة بشرح كانط لتكوين المعرفة من خلال تقصي علاقة الذات-الموضوع. يوفر كانط نقطة انطلاق لتحول هيجل إلى ما هو أبعد من الذاتية من خلال الرغبة والنفي إلى تطوير فكرة المعرفة المطلقة أو الوعي-الذاتي. يطبق باختين عدسة التنوع أو الشمولية للتوسع إلى ما هو أبعد من هيجل في ربط التحرر من الذاتية بالاعتراف بالحقائق المجتمعية الكونية.

يصف كانط تكوين المعرفة بأنه تفاعل بين الذات والموضوع. إن الذات تطور معرفتها بالموضوع من "مصدرين أساسيين للعقل" (كانط ، 161). هذه المصادر هي حدس المعلومة من التفاعل الحسي مع الموضوع و"مفهوم" عقلي للموضوع بناءً على الفئات التي تستخدمها الذات لفهم الموضوعات (كانط ،161). يشرح ياسبرز هذا التفكير قائلاً: "يبدأ كانط من المعرفة الموجودة في متناول اليد... إنه يبدأ، ليس من موضوعات المعرفة ولكن من العملية المعرفية كما تتجلى في الأحكام" (ياسبرز، 29). يصف كانط خمسة مكونات للحكم أو التمثيل العقلي للموضوع. المكون الأول هو أن "التفكير هو عملية ربط لحدس بعينه مع موضوع ما" (ياسبرز، 25). يجب أن يكون لدى الذات بعض المعرفة المسبقة لتطبيق الفكر على الأحاسيس البديهية الحدسية من أجل التعرف على موضوع ما. يصف المكون الثاني الموضوع بأنه مختلف متمايز عن الموضوعات الأخرى (ياسبرز، 25). عند التعرف على الاختلافات، تفصل الذات الموضوع عن الموضوعات الآخري ولكنها تجمع بين المعرفة بالموضوع والمعرفة **المسبقة الموجودة** بشكل عام.

إن الجمع بين الأحاسيس البديهية الحدسية والمعرفة **المسبقة** بالتشابه والاختلاف ينطوي على فعل التفكير أو الاستدلال – المكون الثالث عند كانط (ياسبرز، 25). المكون الرابع يشمل فكرة كانط عن التوليف الجَماعي synthesis الملموس كأساس للتفكير. يطور الفرد المعرفة من خلال ربط ضروب الحدس الجديدة بالمعرفة أو الخبرة السابقة عبر الفكر، مقابل تطوير مفهوم الموضوع من خلال التجريد التجريبي للعديد من الموضوعات (ياسبرز، 25). يقدم المكون الخامس فكرة الوساطة mediation– فالذات تحدس موضوعا ثم تستخدم الوسيط، أي الفكر، لمعرفة الموضوع (ياسبرز، 25). هذه العملية ليست بالضرورة أحادية الاتجاه من الحدس إلى المعرفة؛ أنها تنطوي على ربط الحدس الحسي بالمعرفة الموجودة مسبقا عن طريق التفكير.

إن وساطة الحدس بالفكر لتحقيق المعرفة تنطوي على احتمال وجود ضرب من عدم المعرفة (المجهلة)، مما يولد عدم اليقين uncertainty . يضع كانط حدودًا للفهم من خلال كتابة أن الكينونة، بدلًا من كونها اشتقاقا من "واحد" ما (ONE) تصوري باعتباره المصدر لكل الأشياء... تظل مجهولة غير معروفة بالنسبة لنا" (ياسبرز، 28). بالنسبة لكانط، هناك ثمة شيء لا يمكن معرفته. يتضمن تفسيره للانقسام بين الذات والموضوع

“توضيح المنطقة التي نفكر فيها، [و] ربما يمكننا، في تفكيرنا، تجاوزها، وتخطيها وعبورها” (ياسبرز ، 28). هناك قيود على هذا الوصف لأنه يدور حول كيفية استخدام الذات للعقل للجمع بين الحدس والمفاهيم لمعرفة الموضوع وتعرفه. قد تكون هناك خصائص للموضوع لا تستشعرها (تحدسها) الذات، أو لا يمكنها تخصيصها أو عزوها لأي من الفئات ضمن قاعدتها المفاهيمية (التصورية). يؤدي هذا القيد إلى توسيع أو تمديد أفكار كانط للبحث عن فهم أكثر اكتمالا لتكوين المعرفة.

يمكن تفسير مناقشة هيجل للوعي الذاتي على أنها امتداد لأفكار كانط أو على أنها تعطي تفاصيل للتعالي (العبرية) خارج المنطقة التي نفكر فيها. يوافق هيجل على أن "الأفكار" تتوسط المعلومات التي يتم جمعها عبر الحواس في خلق المعرفة، لكنه يشير إلى هذا باعتباره الوضع الأول للوعي (اول اسلوب للوعي) (كوجيف، 3). بالنسبة لهيجل، هناك ثلاثة أنماط من الوعي يمكن للمرء أن يصفها على انها مستويات تقدمية. ويجادل بأن النمط الأول ينطوي على الوساطة الفردية والداخلية ولكن هذا هو “اليقين الذاتي” الذي ليس بعد معرفة (كوجيف، 11). تمتلك الذات مستوى معينًا من الإدراك الذاتي ولكنه يكون داخليا بحتا وبالتالي قد لا يكون صالحًا (صادقا). يؤدي هذا الاختلاف المحتمل إلى عدم الاستقرار أو عدم الأمان للمعرفة التي لم يأخذها كانط في الاعتبار.

يجادل هيجل أنه بسبب اليقين الذاتي، تحدد الذات أي شيء خارج نفسها على أنه موضوع آخر أو موضوع “بدون واقع جوهري ... يتميز بطابع كيان سلبي” (كوجيف، 10) لأنه ليس من الذات أو داخلها. تولد السلبية عدم الاستقرار أو انعدام الأمن وتفرض الحاجة إلى مستوى أعلى من الوعي. النمط الثاني للوعي، الإدراك، يتضمن الرغبة في تعريفات كونية عالمية للموضوعات (كوجيف، 12). تستخدم الذات أفكارًا أو فئات تم الاتفاق عليها مسبقًا من خلال اللغة والمعنى المشترك (من قبل اشخاص أخرين عبر التاريخ) لبلوغ فهمها للموضوع الذي هو جديد بالنسبه لها. يعتبر هيجل أن هنا ثمة ضرب من النفي بين الأدلة البديهية الحدسية التي يجمعها الفرد والفئات التي تتعلمها الذات حتى تتمكن من تخصيص وعزو معنى لتلك الأدلة الحدسية. قد تكون الفئات الموجودة أو المعروفة غير كافية لتصنيف فكرة جديدة.

هذا المستوى الثاني من النفي يكشف التناقضات الداخلية في محدودية الفئات الموجودة ويستلزم مستوى أعلى من الوعي من أجل إشباع رغبة الذات في المعرفة. إن عملية التعلم التي من خلالها تولد الذات مجموعة أكثر شمولاً من الفئات هي النمط الثالث للوعي أو الفهم أو الوعي الذاتي المستقل. لا يمكن للذات أن تحقق الوعي الذاتي الحقيقي دون “التغلب على وجودها خارج نفسها” his being-outside-of- himself(كوجيف 13). إن فعل التغلب هذا هو “السلبية النافية المطلقة” absolute negating- negativity و “يأخذ بالضرورة شكل القتال أو العراك” (كوجيف، 13، 11). يُنظر إلى الآخر على أنه نفي أو سسلب negation للذات ويجب على الذات أن تتغلب على هذا الاختلاف different-ness أو تنفيه. يجب إجبار الآخر على الاعتراف بالذات باعتبارها وعيًا ذاتيًا، إما من خلال قتل الآخر – وهو ما من شأنه أن يلغي فرصة الاعتراف بها، أو من خلال القهر – الذي يعامل الآخر كموضوع، أقل من الوعي الذاتي الحقيقي. لا يؤدي أي من هذه الخيارات إلى حصول الذات على الاعتراف المرغوب على الإطلاق؛ وأفضل نتيجة هي الاعتراف بوساطة الآخر المقهور، الامر الذي يسميه هيجل علاقة “السيد والعبد” (كوجيف ،16). هذه العلاقة بين السيد والعبد

هي علاقة أحادية الاتجاه فيما يتعلق بالاعتراف. يكتب كوجيف: «لأنه لا يمكن أن يكتفي إلا بالاعتراف من شخص اعترف بأنه يستحق الاعتراف به» (19). إن رغبة السيد في أن يتم الاعتراف به لا يمكن أن تكون إلا الرغبة في التغلب على الرغبة المقابلة في الاعتراف من شيء ما (كيف يُنظر إلى العبد) وهي ليست كافية (لا يعتبر العبد وعيًا ذاتيًا متساويًا). ناقش هيجل أيضًا الوعي العبودي باعتباره اعترافًا من العبيد بأنهم "مستعدون للتغيير؛ في [كينونتهم] ذاتهم (انفسهم)" من خلال معرفة أنهم ليسوا أحرارًا ولكنهم يريدون أن يكونوا أحرارًا (كوجيف ،22). في هذا الاعتراف، يحقق العبد مستوى معينًا من الوعي الذاتي الذاتي ولو كونه موضوعا (كوجيف، 22).

هناك تحول أبعد من هيجل في وصف باختين لمنهج دوستويفسكي في بناء روايته. وبينما يسعى هيجل إلى إزالة التناقضات، يرى باختين أن دوستويفسكي لا يصنف "تعدد المستويات والتناقضات" على أنها موضوعية لحياة المؤلف الخاصة، بل يعترف بها على أنها "حالة المجتمع" (باختين، 27). يتنقل دوستويفسكي ذهابًا وإيابًا بين مستويات الوعي الذاتي خلال حياته، مما يشير إلى حرية "التعايش والتفاعل" داخل وبين المستويات المتناقضة (باختين، 28). يناقش باختين هذه الحرية في ارتباطها بالكرنفال، حيث يتم تعليق الأعراف الاجتماعية التقليدية ويتم تجاوز الانقسامات التقليدية بين الذات والموضوع (أو السيد والعبد الهيجلي)، ليس لأنها تم إلغاؤها ولكن لأنها مقبولة كجزء من كيفية عمل الذوات المتعددة ووظيفتها وتطوير الفهم في نفس المساحة.

عند النظر في أفكار كانط وهيجل وباختين، هناك توسع ملحوظ في التفكير حول كيفية تطوير المعرفة. يركز كانط على كيفية قيام الفرد بتطبيق العقل لدمج الحدس الحسي للموضوع والمفاهيم العقلية للموضوعات ليعرف موضوعات جديدة. لقد أدرك وجود خلل في المفكرين الأوائل الذين افترضوا أن العلاقة بين الذات- الموضوع هي علاقة تعتمد فقط على المعلومات البديهية (المعرفة الحدسية) من الموضوع الذي يدخل إلى عقل فارغ. ومن خلال عكس هذا التفكير في المنعطف الكوبرنيكي، يرى كانط أن العقل ليس فارغًا ولكنه يمتلك مفاهيم عن الأشياء وأن الذات تستخدم فئات مشتقة من هذه المفاهيم لتصنيف موضوع جديد من الحدس. بهذه الطريقة، يتجنب كانط تناقض مسألة المعرفة مع موضوع يمتلك خصائص لا تدركها الذات ولا تحدسها. ومع ذلك، فإن أفكار كانط تصف فقط التفكير الفردي لتكوين المعرفة. يوسع هيجل فلسفة كانط من العلاقة الفردية بين الذات والموضوع لتشكيل المعرفة لتشمل التفاعل بين الذات والآخرين من أجل التجاوز فيما وراء المعرفة للوصول إلى المعرفة المطلقة أو الوعي الذاتي. لا يقتصر الوعي الذاتي على إدراك الذات ومعرفتها بالموضوع أو غيره فحسب، بل يشمل الوعي الذاتي الذي يتحقق من خلال التعرف على الآخرين. تتضمن أفكار هيجل حول كيفية تحقيق هذا الوعي نفيا (انكارا) لرغبة الآخرين، وإخضاعهم للذات. إن اختزال الآخر إلى موضوع يخلق تناقضًا، لأن الذات لم يعد من الممكن التعرف عليها من قبل الذوات الأخرى. ويشير باختين إلى أنه ليس من الضروري إزالة التناقضات، خاصة تلك التي نشأت بسبب المستويات المجتمعية. وهو يوسع الأفكار الكانطية/الهيجلية عن الذاتية من خلال القول بأن التناقضات جزء لا يتجزأ من المجتمع ويمكن لأعضاء جميع الفئات الاجتماعية تجاهل التسلسل الهرمي التقليدي للذات والموضوع عند تكوين المعرفة.

تمت في 12/6/ 2024